

محمد اركون من الاسلاميات الكلاسيكية الى الاسلاميات التطبيقية

Mohammed Arkoun from Classical Islamism to Applied Islamism

د. مالك سماح

جامعة العربي التبسي - تبسة- الجزائر

MALEK.SAMEH@UNIV-TEBESSA.DZ

تاريخ الإستلام: 2021 / 05 / 09 تاريخ القبول: 2021 / 07 / 18 تاريخ النشر: 2021 / 07 / 20

ملخص:

إن ما ميز أركون عن معاصريه الذين اهتموا بالعقل الإنساني وقدموا مشاريع نقدية هو إنضباط بحثه في إطار منهجي متعدد الأبعاد أي ما يصطلح عليه بالإسلاميات التطبيقية، فالمنهج هو المنطلق الذي آل بأركون إلى تأسيس هذا الفضاء النقدي الواسع وأكسب مشروعه المتميز المصداقية والجرأة، كما يقول جورج طرابشي خاصة من ناحية تعامله مع النص القرآني والتراثي، وهذا ما جعله يحتل مكانة مرموقة في الساحة الفكرية الغربية، التي تهتم بمسألة المنهج أكثر من غيرها، فالمشروع الذي قدمه أركون تكمن قيمته في بلورة نظرة جديدة وتبني مقاربة مغايرة، خاصة في استثماره للمناهج الغربية وحسن توظيفها لغايات معرفية بحثية، ولهذا يمكن القول أنه مشروع طموح وكبير يحتاج إلى فريق من الباحثين لانجازه فهو مشروع جديد كل الجدة يأبى السرد والوصف، ويضفي على عمله النظرة العلمية دون عمل، أي اعتباراً للعراقيل التي تواجهه، أما عن الأهداف المرجوة من خلال هذه الورقة البحثية، الكشف عن أهمية المشروع الأركوني من الناحية العلمية، وأهمية منهج الأسلاميات التطبيقية، هذا المنهج المتعدد الإختصاصات لخلخلة وزحزحة اللامفكر فيه في التراث الإسلامي معتمدة على المنهج التحليلي التاريخي كونه الانسب لهذه الدراسة، ومن اهم ما توصلنا اليه هو ان اركون سعى الى تفكيك وتعرية كل النصوص المقدسة لتجاوز كل التصورات المسبقة التي انتجها الفكر الاستشراقي .

. الكلمات المفتاحية : التراث، الحداثة، اركون، الاستشراق، الاسلاميات التطبيقية، الاسلاميات الكلاسيكية.

Abstract

Arkoun distinct from his contemporaries, who cared about the human mind and presented critical projects, is the discipline of his research within a multidimensional methodological framework what is called applied Islamism. The methodology is the starting point that led Arkoun to establish this wide critical area as well as gained credibility and authenticity for his distinguished project, as Georges Tarabichi says especially with regard to the Quranic and heritage texts. This is what made Arkoun occupy a prominent position in the Western intellectual arena that is concerned with the issue of the methodology more than others. The project presented by Arkoun lies to crystallize a new view and adopt a different approach, especially in his investment of Western methodologies and its useful for purely cognitive purposes. For this it can be said that an ambitious and large project needs a team of researchers to achieve it. It is a new project rejects narration and description, and its work requires a scientific view without making any consideration to the obstacles that it faces. The aims of this research paper is to reveal the importance of the Arkoun's project from the scientific point of view and the importance of this method of applied approaches to dislocate and shift the unthinkable in the Islamic heritage, depending on the historical analytical method being the most appropriate for this study. The study found that Arkoun sought to deconstruct and expose all sacred texts in order to overcome all the pre-conceptions produced by Orientalist thought.

Keywords: ; Heritage; Modernism; Arkoun; Orientalism; Applied Islamism; Classical Islamism

١. مقدمة:

يعتبر محمد أركون صاحب مشروع فكري يهدف من خلاله إلى نقد العقل الإسلامي خاصة في شكله الأرثوذكسي كما أنتجه العقلية الدوغمائية، علماً أنه لا يهدف من خلال نقده للعقل الإسلامي، إلى الكشف عن خطأ بعض المعارف والأفكار، وتبيان صحة معارف أخرى كما أنه لا يهدف إلى تصنيف (المذاهب والتيارات والعمل على نقضها، بل أنه يهدف إلى كشف آليات اشتغال الخطاب وتحليل الأنظمة المعرفية، وفحص أسس التفكير لأن العقل الإسلامي- في نظره- بقي عاجزاً على ارتياد آفاق معرفية خاصة به، وتأسيس ميادين معرفية جديدة وهذا ما يفسر الأزمة التي وقع فيها، كما يكشف عن محنة وأزمة داخل الثقافة الإسلامية، أصبح بموجها نقد العقل الإسلامي عملية ضرورية تقتضي وتفرض مراجعته عن طريق فحص مسلماته، وتحليل بنياته والوقوف عند الآلية الحقيقية التي يشتغل وفقها، وهذا ما تجسد مع بداية الستينات من القرن الماضي عندما قدم أركون أطروحته لنيل شهادة الدكتوراه بجامعة السوربون حول موضوع " نزعة الأنسة في الفكر العربي"، وفي عام 1970 م تحولت هذه الأطروحة إلى كتاب يحمل عنوان نقد العقل الإسلامي، والذي يعد النواة الأولى لمشروع أركون الفكري والذي يعتبر مختلفاً عن كل المحاولات الموجودة في الساحة الفكرية العربية التي لم ترق إلى درجة التفكيك ولهذا فإن مشروعه الفكري بأكمله يعود إلى السؤال الجوهرى: كيف يمكن إدخال المجتمعات العربية عصر الحداثة؟ علماً أنه يصرح في مدونته الفكرية أنه إنطلق من واقع المجتمعات العربية الإسلامية وخاصة المجتمع الجزائري، فما يعيشه الفرد العربي المسلم من تخلف وانحطاط كان المحرك الرئيسي للفكر الأركوني كله، ولهذا فإن مشروعه يعلن ميلاد لحظة الإنعطاف المنهجي في دراسته للتراث أو يمكن القول أنها لحظة الإنتباه المفاجئ للثورة المعرفية التي فجرتها العلوم الإنسانية والاجتماعية في الغرب وإلى مكتسباتها المنهجية التي لم تتضح معالمها كثيراً في الخطاب العربي أي أن المهمة التي تكفل بها هي مهمة نقدية تعمل على إعادة قراءة التراث قراءة نقدية منفتحة على آخر ما أنتجته العلوم الإنسانية والاجتماعية، وهذا ما يعبر عن قلق معرفي حاد لازمه قرابة الخمسين سنة، ملحا على ضرورة إدراج النقد كقيمة معرفية وتاريخية في قراءة التراث بعيداً عن كل التصورات الإيديولوجية والإستشراقية، فما النقد الذي يوجهه للإسلاميات الكلاسيكية حتى شق لنفسه طريقاً متميزاً داخل أروقة الفكر العربي؟ وما هو البديل الذي يقترحه لانتشال المجتمعات العربية من الأزمة الفكرية التي تعيشها؟.

أما عن الأهداف المرجوة من خلال هذه الورقة البحثية، الكشف عن أهمية المشروع الأركوني من الناحية العلمية، وأهمية منهج الإسلاميات التطبيقية، هذا المنهج المتعدد الإختصاصات لخلخلة وزحزحة اللامفكر فيه في التراث الإسلامي معتمدة على المنهج التحليلي التاريخي كونه الانسب لهذه الدراسة.

1) واقع العالم العربي الإسلامي:

إن الظروف والمشاكل التي تخبط فيها العالم العربي الإسلامي كانت من بين أهم الأسباب التي دفعت محمد أركون إلى تأسيس مشروع هدفه الدعوة إلى التجديد وإعادة قراءة التراث وفق آليات وأدوات جديدة، خاصة وأن الفجوة بين الماضي العربي للمسلمين وحاضرهم الأليم تتسع يوما بعد يوم مقارنة بغيرهم وهذا ما أكدده خطاب شكيب أرسلان الذي حير أركون كثيرا وهو "لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟ ورافقه هذا السؤال وألح عليه" (محمد أركون، 1993، ص: 265) ليثير فيه عديد التساؤلات التي جعلته يتوقف طويلا ليتأمل في واقع المسلمين عله يكتشف مكن الداء ليجد الدواء، خاصة فيما يتعلق بالعلاقات بين الغرب والإسلام أو بين الأنا المتخلف والآخر المتقدم (سؤال جوهري طرحته معظم تيارات الفكر العربي الحديث والمعاصر) فهذه المشكلة أو الوضع الذي واجهه أركون كان من أهم الروافد التي ساهمت في بلورة مشروع أركون الفكري ورسمت توجهه بصفة عامة وأهمها:

-النظر إلى الإسلام على أنه منبع كل الإيديولوجيات الخطيرة، ومن ثم تصبح المهمة الموكلة إلى الفكر الغربي هي حماية كل القيم الكونية من الإسلام الذي يمثل البربرية والوحشية (محمد أركون، 2001، ص: 158)، وإتهام المسلمين بالتعصب، وقد شاعت هذه الصورة عن الإسلام وعمت في المدارس والعائلات الفرنسية منذ القرن 17م وهذا ما رسم صورة ضبابية عن الإسلام والمسلمين وإدانتهم بجميع التهم (التوحش، التخلف، التعصب، الإزهاق، الأصولية).

- إعتبار الحداثة ضرورة حضارية غربية، أي أنها حكرا على الغرب وحده وأن العالم العربي الإسلامي لم يشهد الحداثة ولم يتعرف إليها.

- النظرة الدونية والإحتكارية للإسلام والمسلمين، واعتباره نوع من السحر والشعوذة والخرافات (محمد أركون، 2001، ص: 103) وهذا مرده بالدرجة الأولى حسب أركون إلى أن الإسلام وقع ضحية تصورات شعبية سياسية إيديولوجية مشوهة، ولم تخضع لدراسة علمية من قبل العلوم الاجتماعية والإنسانية، ولم يكن موضوع تفكير نقدي، أضف إلى ذلك الإستغلال الإعلامي لأشكال سوء الفهم من أجل خلق الصور النمطية عن الآخر.

- إعتبار العلمية ضرورة حضارية للعلوم الوضعية الغربية، والتي تفتقدها المجتمعات الإسلامية خاصة تقسيم العالم إلى قسمين: الأول تحرري والثاني تقليدي محافظي ويتجلى في ثقافة الشعوب المستعمرة، أو بلدان العالم الثالث، وفي طبيعتها البلدان الإسلامية (محمد أركون، 2001، ص: 62)، وهذا ما جعلهم يجهلون الكثير من الحقائق عن الإسلام وعن تاريخ المجتمعات الإسلامية التي مرت بعصور ذهبية إزدهر فيها الفكر والحرية والنقد والأنسنة، وإصدار أحكام مسبقة مبنية على تصورات إستشراقية كلاسيكية.

-إعتبار الإسلام المسؤول الأول والأخير عن تخلف وانحطاط هذا العالم الإسلامي "لأن علة المشاكل كلها هي الإسلام" (محمد أركون، 2001، ص: 56) ولهذا إتهم بالإنغلاق اللاهوتي والاسيعة الدوغمائية المنيعة التي تقف عقبة أمام نهضة المسلمين وتطورهم، ومنه عدم الإعتراف بالإسلام كقطب موازي لأوروبا أو كطرف مهم للحوار خاصة مع بداية القرن التاسع عشر أين شهد الغرب تطورا فكريا وعلميا وثقافيا وصناعيا أدى إلى عزل المسلمين وزعزعة ثقتهم بأنفسهم وترسيخ فكرة "أنهم متخلفين إلى الأبد".

- السعي المتواصل من أجل عزل المسلمين وسجنهم داخل رؤيا بالية وخيالية فيما يتعلق بالظاهرة الدينية (محمد اركون، 2001، ص:62)، ولهذا فإن للمشروع الأركوني يضيف ضمن الدراسات النقدية التي كفى بالظاهرة الدينية عبر التاريخ لتحرير العقل وتوظيف نتائجه ضمن التنوير الديني في المجتمعات العربية الإسلامية.

- عدم التفكير في الدين إلا من خلال المسيحية الغربية (محمد اركون، 2001، ص:56)، أي أن المسيحية هي القناة الدينية الوحيدة التي من خلالها يفكر الغرب في الديني واللاديني، وفق رؤيته الخاصة التي أملتها الحداثة والتنوير والعلمانية.

- دراسة علماء الأنثولوجيا والأنثروبولوجيا والإجتماع، الإسلام بالمنظور نفسه الذي عالجوا به المجتمعات والثقافة البدائية (محمد اركون، 2001، ص:56)، وهذا ما أنتج هيمنة غربية على جميع مجالات المعرفة، وتجاهل التعددية الثقافية والدينية داخل مجتمعات العالم الثالث وخاصة الإسلامية منها، مع تنامي نظرة الدونية والإحتقار للباحثين المتخصصين في مجال الدراسات العربية الإسلامية وإعطاء الأولوية في الدراسة والبحث لكل ما يتعلق بالتراث الأوروبي وهذا ما أدى إلى غياب التواصل بين المثقف المسلم والمثقف الغربي الذي يسيطر عليه الشعور بالإستعلاء والتميز.

- إتهام المسلمين بعدم القدرة على التقيد بقواعد البحث العلمي (محمد اركون، 2004، ص:21)، وعدم الإهتمام بما أنتجه الغرب للمسلمين في المراحل التأسيسية الأولى من علوم وفلسفة نتيجة التصورات المسبقة والأفكار العدوانية التي أصبحت لصيقة بالإسلام والعرب عندهم، ولهذا حاول أركون من خلال مشروعه نقد العقل الإسلامي أن يعيد قراءة الإسلام وقفا والآليات المنتجة في الغرب، مؤكداً أن الخروج من تهميش الإسلام يتحقق من خلال منهجيات العلوم الإجتماعية والإنسانية التي اخترعها الفكر الغربي ولهذا يمكن أن يقدم الإسلام بصورة أخرى تتسم بالطابع الروحي بعيدا عن الجانب الطقوسي الذي يعتبره من صنع الفقهاء ولهذا يقترح مجموعة من الخطوات المنهجية والإبستمولوجية لإنجاز مشروع النقد التاريخي وأهمها:

✓ قراءة القرآن قراءة جذرية ثم العودة إلى المرحلة التأسيسية باعتبار القرآن ذاكرة جماعية للمسلمين.

✓ التعامل مع كلام الله أو الوحي تعاملًا إشكالياً والتعاطي مع الكتاب المقدس بعيداً عن سلطة الليتولوجيا.

✓ الإستفادة من مكتسبات الألسنيات والسميائيات للنظرة في طرق بناء المعنى واكتشاف الروابط الكامنة بين الدين ومختلف المجالات المعرفية الأخرى.

✓ عدم اختزال التجربة الدينية في منهج واحد ومحدد لأنها تستدعي أكثر من منهج.

2) الأسس المنهجية للمشروع الأركوني:

نقد الإسلاميات الكلاسيكية التي أنجزها المستشرقون منذ القرن التاسع عشر والتي لم تعد قادرة على مواكبة التطور العلمي الذي أحدثته الثورات المعرفية المعاصرة وما طرحته خاصة على مستوى المناهج وتطبيقاتها في علوم المجتمع والإنسان وأيضا في مجال تاريخ الأديان والتاريخ الثقافي. (عبد اللاله بلقزيز، 2016، ص:369).

وهذا ما فتح آفاقا جديدة معرفية من خلالها قدم أركون الإسلاميات التطبيقية كمجال علمي دراسي مستقل عن بقية المجالات وتتخذ من الإسلام موضوعا لها.

-نقد العقل الإسلامي ويقصد به نقد المنظومة المعرفية التي تشكلت عند المسلمين عبر تاريخهم تحت تأثير النص الديني، وما خضع له من تفاسير تقليدية مغلقة وما أنتجه من قواعد في التفكير تسيطر على جميع مجالات الثقافة الإسلامية واحتكرتها، وقد تجسد هذا في تحليل أركون لمؤلف الرسالة للإمام الشافعي علما أن معظم أعماله قد تناولت هذا النقد وسعت إلى بيان الإبيستيمي (Epistémé) الحاكم للعقل العربي في تحليلاته المختلفة (عبد اللاله بلقزيز، 2016، ص:320)، أو ما يقصد به النظام المعرفي الذي ينتج رؤية إسلامية إلى الدين مبنيًا آراء الفيلسوف الفرنسي " ميشال فوكو" في دراسته للابستيمات الحاكمة للثقافة الغربية.

- إعادة قراءة النص القرآني وفق آليات منهجية تتجاوز الحدود المعرفية التي يقدمها التفسير الموروث، ويتصل انشغال أركون بإعادة قراءة النص القرآني بهدف مشروع وهو أن يخضع هذا النص للمناهج الحديثة التي طبقت في الغرب في نطاق الدراسات الأنجلية والتورانية (الإنجيل والتوراة) وتجسدت في محاولات مفكرين غربيين باستدعاء كل أدوات النقد التاريخي ومناهج علم الأديان المقارن والتحليل الهرمينوطيقي للنص وتوظيف مستويات ثلاث من القراءة اللسانية، السميائية، الأنثروبولوجية، لكن ما ينبغي الإشارة إليه هو أن تعتمد هذه القواعد والآليات على الحالة الدينية الإسلامية، كما يطمح أركون في غاية الصعوبة خاصة وأن إخضاع النص القرآني للقراءة التاريخية النقدية يصطدم بالشعور الديني الجماعي المتمسك بالهبة مصدر النص وحرمة وتعالیه عن أي نوع من المساءلة، إضافة إلى وجود عوائق أخرى متعددة ومختلفة منها التاريخية والنفسية والثقافية والاجتماعية والسياسية.

-الحفر والكشف عن النزعة الإنسانية في التراث العربي وتبيان مواطن الفن الفكري والإنساني فيه، وقد كان شديد التأثير "بأبي حيان التوحيدي" مما يفسر المكانة المهمة التي استحوذت عليها نزعة الألسنة في وعيه وفي أعماله فقد أثر فيه لدرجة أن هناك نوع من التوافق والتطابق بين الشخصيين يقول: "يمكنهم أن يحرقوني معه فلا أعترض" (محمد أركون، 1993، ص:256)، وهذا ما يؤكد جرأته وشجاعته كمتكفف وصرامته النقدية الحادة في قراءة التراث أو الموروث الثقافي وهذا ما أثار المفكر جورج طرابشي الذي يقول: "ليس لدينا ما نقوله هنا سوى أن نكرر تحيته على الجرأة النادرة التي ما زال يدل عليها والتي مازلنا نفتقدها إجمالا لدى الانتلجنسيا العربية" (عبد اللاله بلقزيز، 2016، ص:370).

فما يقدمه أركون في غاية الأهمية من الناحية العلمية لندرة مثله في مجال تاريخ الفكر وأيضا كشفه عن مرحلة ثقافية مهمة في تاريخ الإسلام من خلالها نفهم الحاضر والمستقبل ونقد العقل الكلاسيكي، وهنا تتضح رؤيته النقدية وصرامته المنطقية وقراءاته المتعددة والمتنوعة واستشهاداته المختلفة دون تبني وقبول أي كان من الآراء والمواقف.

(3) الإسلاميات التطبيقية في نقد الإسلاميات الكلاسيكية:

1-3- الإسلاميات الكلاسيكية:

لقد واكب محمد أركون مخاضا كبيرا وتحولا عميقا في جميع الأبنية الذهنية والسياسية والإجتماعية والثقافية في فرنسا وفي الغرب عموما، هذه التحولات أثرت فيه منذ بدايته كباحث في رعاية مستشرقين وأساتذة غربيين (محمد أركون، 1996، ص:11)، أحاطوه باهتمام خاص، ومكنوه من مواقع علمية وتعليمية مهمة في كبرى الجامعات الفرنسية وعلى حد تعبيره فقد كانت هذه المدرسة حلقة وصل بينه وبين الفكر الغربي منذ كان طالبا بجامعة الجزائر.

فالمدرسة الإستشراقية هي من اتخذت من الإسلاميات الكلاسيكية أو الإسلاميات التقليدية Ishamique Classique وهذا ما تكفل به كبار المستشرقين الأوروبيين في فرنسا وأوروبا بصفة عامة أمثال "كارل بروكلمان" وجوزيف شاخت" وماكسيم رودنسيون" و" لويس ماسينيون" وغيرهم من الذين قاموا بدراسة الموروث العربي الإسلامي مستعينين في ذلك بالمنهجية الفيلولوجية الدقيقة والصارمة (محمد مستقيم، د س، ص:75)، فهي خطاب غربي حول الإسلام، يصطلح عليه باللسانيات الأثرثودوكسية أو المنهج التاريخي أو الوصفي الذي طبق على التراث، وذلك بالتحقيق والتنقيب في التراث العربي الإسلامي (مخطوطات، مؤلفات) الكلاسيكي وأيضا بعض الأسماء الكبرى التي تعتبر رمزا من رموز هذه الثقافة التي أهملت طيلة قرون من الزمن أمثال ابن رشد وابن خلدون.

ورغم أن أركون يقر بأهمية هذه الدراسات وقيمتها العلمية إلا أنه يدخل معها في صراع منهجي وابستمولوجي (محمد الشبه، 2014، ص:27)، فهي في نظره ليست سوى مرحلة ينبغي أن تلمها مرحلة ثانية تأخذ بما تنتجه العلوم الإنسانية والإجتماعية من مناهج مؤكدا أن هذه المدرسة غربية لها غايات فكرية بعضها علمي والبعض الآخر إيديولوجي لخدمة أهداف إستعمارية ولهذا نجدها محدودة القدرة على دراسته العقل الإسلامي على المستويين المعرفي والمستوى المنهجي، لأن أصول معرفتها تعود إلى الفكر الوصفي والإستشراق أحد مكوناته، هذا الأخير الذي ركز على تحليل اللغة وما هو مادي مستبعدا كل ما هو روحي ومعنوي ولهذا فإن الإسلاميات الكلاسيكية عاجزة عن فهم ونقد العقل الإسلامي بسبب مجموعة من العوائق يذكرها أركون:

- غيابها عن المنجزات الحديثة في مجال العلوم الإنسانية وخاصة مفهوم الإبستيمي، الذي طوره الفيلسوف الفرنسي ميشال فوكو، والذي يمكن أن يساهم في تقديم قراءة نوعية وموضوعية للتراث العربي الإسلامي.

- إهمالهم لدائرة اللامفكر فيه في التراث العربي الإسلامي، ويقصد منظومة الدلالات التي تثير إشكالا داخل الخطاب الديني الغربي.

- تمسك الإسلاميات الكلاسيكية بالبنية الداخلية للنص على طريقة الفلسفة البنيوية، وهذا ما يجعلها خارج خطاب نقد العقل لأن النقد في نظر أركون يعني تفكيك مفهوم الحقيقة، وتمسك الدراسات الإستشراقية بالحقيقة جعله يصفها بالأثرثودوكسية، مؤكدا أنه ليس من أتباع الأثرثودوكسيات الألسنية، ولهذا فإن فهم النص القرآني مشروع لكل فرد، وفق الآليات العلمية والمنهجية الآنية.

- النظرة الدونية والأحكام القطعية الثبوتية المسبقة والجائرة التي يطلقها المستشرقون على العقلية العربية الإسلامية، ومن هنا تبرئة الفرد من أية مسؤولية على العداء المستمر للإسلام والمسلمين، ولهذا يلجأ أركون على تفكيك كل ما يجعلنا نخرج من العقلية العدائية المتبادلة التي تسمح الأجواء بيننا وتمنع اللقاء والحوار والسلام (محمد أركون، د.س، ص:16)، وهذا النقد وجهه أركون لكافة المستشرقين الغربيين الذين انصهروا في الإسلاميات الكلاسيكية.

-إبتعاد الإسلاميات الكلاسيكية في الرؤية الشمولية واكتفاءها بنظرة جزئية شكلية خاصة في معظم المستشرقين اعتمدوا الرؤية التاريخية والعرقية المركزية الغربية إذن يؤكد أركون أن الإسلاميات الكلاسيكية تفتقر إلى عنصر مهم وهو نقد العقل الديني وتحديد ثوابته المشتركة بين كل الأديان وهذا ما نتج عنه صراع الأديان في مقابل ذلك نجد أن الإسلاميات التطبيقية بقدرتها على النقد تؤدي إلى تحقيق نوع من التسامح والتعايش بين الأديان.

- وفي إطار نقده للفكر الإستشراقي الغربي أو ما يصطلح عليه الإسلاميات الكلاسيكية ركز أركون على المنهج الفلولوجي كونه العمود الفقري، الذي تقوم عليه الدراسات الإستشراقية للتراث العربي الإسلامي، هذا المنهج الذي اعتمده في دراساته المبكرة وبالضبط من أستاذه " ريجيس بلاشير " يقول: " لقد علمني الدقة والصرامة الفلولوجية ولكنه لم يعلمني كيف أخرج من الفلولوجيا بعد أن دخلتها كان يريد أن يسجنني فيها كما حصل له هو، لا ريب في أنه من المهم جدا أن يتعلم المرء المنهجية الفلولوجية، ولكن ذلك لا يكفي ولهذا السبب أقول أن توجهاتي المنهجية المتعددة راجعة إلى فضولي الشخصي ومطالعتي الشخصية، ولي طبيعة تحت التردد على أولئك الذين يشتغلون في الحقول المعرفية المختلفة والمتعددة" (محمد أركون، 1993، ص:251).

-إتهام المستشرقين بالعمل على تأخير المسلمين وتأكيدهم على أن الإسلام لا يفصل بين الزمني والروحي، وهذا ما جعل أركون يعيد طرح المسألة - مسألة العلمنة في الإسلام - هو الواقع السياسي للمجتمعات العربية التي لم تفصل بين البعدين لتحقيق مشروعيتها الدينية على حساب المشروع القانونية وهذا ما أدى إلى استبعاد ونفي الفكر النقدي الحر.

إن مثل هذه الأعمال هي التي دفعت أركون إلى أن يدافع عن المستشرقين الذين قدموا خدمات كثيرة للثقافة العربية الإسلامية رغم اختلافه معهم ونقدتهم في كثير من المسائل وخاصة فيما يتعلق بالجانب المنهجي، ولذلك وجب الكف عن ادانتهم بنظرة سلبية والإعلاء من شأنهم بترجمة أعمالهم ودراساتها بعمق لمناقشتها على أسس علمية وموضوعية لا على أساس إيديولوجي وعقائدي يقول " لا ينبغي إذن تكملة النقد الفلولوجي أو تعميقه عن طريق النقد الأنثروبولوجي من أجل إحداث التطابق بين المادة العلمية المدروسة ومضامين التراث المعاشة من جهة أخرى، وبين الفعالية النفسية والتشكيلية السيكلولوجية العميقة للذات الجماعية من جهة أخرى" (محمد أركون، 1996، ص:11) ولهذا يرى أنه بفضل المنهج الفلولوجي وبحوث المدرسة الإستشراقية تقدمت الدراسات القرآنية، ولكن ينبغي تكملة عن طريق منهج الإسلاميات التطبيقية، أي وفق آليات ومناهج العلوم الإنسانية والإجتماعية ومفاهيمها على الإسلام عبر مراحل تاريخه الطويل، ولهذا كان شديد الحرص والدفاع عن الإسلاميات التطبيقية كمنهج علمي في البحث.

2-3- الإسلاميات التطبيقية:

يقتبس أركون الإسلاميات التطبيقية من كتاب الأنثروبولوجية التطبيقية لـ " روجيه باستد " ROGERBASTIDE

anthropologie appliquée (مصطفى كيجل ، 2011، ص:33)، ويضيف في موضوع آخر " إنني لا أتحدث عن الاسلامولوجيا التطبيقية مثل بعض الأنثربولوجين الفرنسيين ومنهم روجيه باتسد" (محمد اركون وآخرون، 1982، ص:81) والغرض من ذلك هو دراسة واقع المجتمعات العربية الإسلامية إنطلاقا من التراث فكيف ذلك؟.

تعتبر الإسلاميات التطبيقية نقطة الإنطلاق في المشروع الفكري والنقدي عند محمد أركون بل يمكن اعتبارها هي المحور الرئيسي الذي تدور حوله كل القضايا التي يمكن وضعها تحت مجهر النقد الأركوني للثقافة العربية الإسلامية، وتعتبر البديل الذي يطرحه أركون مقابل الإسلاميات الكلاسيكية، التي أنتجها العقل الإستشراقي الغربي في تعامله مع التراث ومن هنا يؤكد أن الإسلاميات التطبيقية جاءت لتصحيح النظرة الإستشراقية للثقافة العربية الإسلامية لكن كيف حدد أركون الإسلاميات التطبيقية؟.

3-3- تعريف الإسلاميات التطبيقية:

يعرف أركون الإسلاميات التطبيقية بأنها ممارسة علمية متعددة الاختصاصات وهذا ناتج عن اهتماماتها المعاصرة، وكذا المتطلبات الخاصة بموضوع دراستها (مختار الفجاري، 2005، ص: 42)، وهذا يعني تجاوز الإسلاميات الكلاسيكية التي قام بها المستشرقون، كونها خطابا غربيا حول الإسلام يحصر اهتماماته من خلال كتابات الفقهاء ونقلها إلى اللغات الأجنبية الأوروبية دون تحليلها وتفكيكها من أجل تعرية فرضياتها الضمنية للكشف عن بنيتها المفهومية والمصطلحية (محمد اركون، 1990، ص: 08) بالاعتماد على المنهج الفلوجي.

-إن بلورة الإسلاميات التطبيقية عند أركون لا تعني أنه يلغي مساهمة المستشرقين ومناهجهم وكل أعماله توجي بالمكانة المعتبرة التي يولها هؤلاء ولهذا نجد أن مقارنته النقدية للإستشراق تنحصر في هذه النقاط الثلاث:

• المساهمة الإستشراقية الإيجابية:

وهنا يعترف بالدور الكبير الذي قام به هؤلاء من أجل تأسيس ميدان الدراسات الإسلامية وإرساء قواعد ومناهج البحث العلمي، وهذا ما لم يكن بإمكان الباحثين العرب القيام به وهذا مرده حسب أركون إلى ما يلي:

➤ ضعف صلتنا بالمصادر الأساسية المشكلة للتراث، والتي كان معظمها غير منشور والمنشور غير محقق علميا.

➤ إفتقارنا إلى المناهج الحديثة التي تقوم بعملية التنقيب والتحليل، وهذا ما يمتلكه الإستشراق وطبقه على التراث الغربي بشقيه اليهودي والمسيحي وهذا يعني أن المكانة الأساسية التي حظي بها الإستشراق تتغذى من التقصير العربي الإسلامي ومعطياته.

➤ القصور المنهجي: لا تسمح المقاربة الفلوجية لنصوص التراث بأكثر من الوصف والسرد وهي تؤسس لنظرة إقصائية مفادها أن للنص معنى واحد وتحد من معانيه يقول: "إنها منهجية وصفية سكونية بطبيعتها، لأنها تغرق في التفاصيل واستخلاص الوقائع والتواريخ والأحداث من النصوص القديمة ثم تقوم بترتيبها وفرزها وتصنيفها لكي تكتب تاريخ الإسلام بشكل خطي". (محمد اركون، 2001، ص: 16) وهذا ما ينتج عنه البساطة والسطحية في تناول التراث.

➤ الغربة عن المناهج الحديثة: رغم التطورات المنهجية التي شهدتها المجتمعات الغربية ظل الإستشراق أو الإسلاميات الكلاسيكية وفيها لتقاليد المنهجية التي ورثها عن القرن التاسع عشر يقول: "كان الإستشراق ومازال يبرز في قيود تقاليده الفكرية والمنهجية الموروثة يتأبى الخروج منها والإنفتاح على موجات التطور المعرفي الجديد ويتشرب داخلها على النحو الذي يتحول فيه إلى خطاب دوغمائي مغلق ومتأخر على مستوى المعرفة الكونية المعاصرة" (محمد اركون، 2001، ص: 61)

إن الثورة المنهجية التي شهدتها العلوم الإنسانية والاجتماعية أفرزت الإسلاميات التطبيقية التي تعتبر مرحلة متميزة في مستواه الفكري كونها تعبر عن الخروج النهائي من الإسلاميات الكلاسيكية، ومن هذا المنطلق يقارن بين الإسلاميات التقليدية والإسلاميات التطبيقية يقول "إن تفسيراتها وتحليلاتها تعكس في الغالب رؤيا سلبية للإسلام، إننا نشهد اليوم

ظهور نظرة جديدة تأتي من داخل المجتمعات الإسلامية نفسها وهنا تكمن نقطة الإنطلاق الإجبارية للإسلاميات التطبيقية" (محمد اركون، 1988، ص: 253).

إن الإسلاميات التطبيقية تسعى إلى إثبات تاريخية العقل العربي الإسلامي والذي من خلاله يميز بين خمس مراحل مر بها العقل الإسلامي وهي:

* المرحلة الأولى: مرحلة القرآن والبدايات التكوينية حيث كان العقل يعني الربط وتأسيس علاقة بين السماء والأرض.

* المرحلة الثانية: وهي مرحلة العصر الكلاسيكي واصطلاح عليها بالعصر الذهبي وشهدت تبلور العقل العلمي وتطوره.

* المرحلة الثالثة: وهي المرحلة السكولاستيكية أو التكرارية هنا أقصى كل ما أنتجه العقل العربي الحدائي بدءا من القرن السادس عشر.

* المرحلة الرابعة: وهي مرحلة عصر النهضة وتمتد من القرن التاسع عشر ويمكن القول أنها مرحلة استفاقة العقل الكلاسيكي على وقع صدمة الحداثة.

* المرحلة الخامسة: وهي المرحلة التي إبتدأت مع ثورة الضباط الأحرار في مصر بداية الخمسينات حتى وفاة جمال عبد الناصر عام 1970م، وهنا حل النضالي محل العقل الليبرالي.

ومن خلال هذا التعقيب نستنتج أنه عقل تاريخي بامتياز عرف عدة تحولات تخللتها إنقطاعات وهذا ما جعله عقلا دوغمائيا تيولوجيا يعمل على الإمساك ببعد واحد للمعنى ويقصي كل المعاني المتعددة الأخرى ولهذا يمكن القول أن الإسلاميات التطبيقية فتحت آفاقا جديدة في الفكر الإسلامي على مستوى القول والفعل لكن هل الإسلاميات التطبيقية منهج أم علم؟.

إن الإسلاميات التطبيقية بقدر ما هي علم هي منهجية تقوم على المراقبة والتجريب وتحتل مساحة نقدية شاسعة تميزها عن الإسلاميات الكلاسيكية كما تداولها المستشرقون.

فالمنهجية التي تطبقها الإسلاميات التطبيقية هي منهجية متعددة الجوانب تجمع بين القراءة التاريخية الأنثروبولوجية والقراءة الألسنية السيميائية الأدبية وهي قراءة عمودية أفقية تستدعي الكثير من المناهج الجديدة التي أنتجت الفلسفات المعاصرة كالمناهج المقارن الذي وظفه أركون فيما يصطلح عليه " بالفضاء الجغرافي التاريخي المتوسطي" واهم سمات هذا المنهج ما يلي:

- أنه منهج تطلعي عليه روح المساءلة والنقد.
- أنه منهج إستقرائي إستكشافي حفري ينقب عن المسكوت عنه واللامفكر فيه.
- أنه منهج يمارس عملية النقد المزدوج للذات العربية الإسلامية والذات الغربية إذن العقل هو جوهر المشروع النقدي الأركوني الذي يتداخل فيه الموضوع بالمنهج.

• مهام الإسلاميات التطبيقية:

يمكن ضبط مهام الإسلاميات التطبيقية في مهمتين هما: الحفر في التراث وضبط آليات الحداثة ومنهما تتفرع مجموعة مهام أخرى:

- دراسة تاريخ الفكر الإسلامي دراسة نقدية تحليلية بغية معرفة النظام المعرفي المؤطر والحاض لهذا الفكر.
- نقد العقل الإسلامي من خلال أطره الدوغمائية التي تحكمه.
- إعادة الاعتبار إلى جانب طالما همش في تراث الإسلام الفكري وهو التراث الإنساني العقلاني.
- ضرورة العودة إلى العهد التدشيني للإسلام وقراءة نصه التأسيسي وفق تقنيات وآليات منهجية ومعرفية جديدة يتجاوز القراءات التقليدية والاستشراقية.

4-3- عوائق الإسلاميات التطبيقية:

إن المهمة الصعبة التي أوكلت للإسلاميات التطبيقية لم تمنع من وجود عوائق تحد من تحقيق هذه المهام وأهم عائقين هما:

-الاسيجة الدوغمائية التي تحاصر المجتمعات العربية والتي نمتها الأنظمة التقليدية وتصوراتها الدينية والعقائدية والإيمانية والأعراف الاجتماعية (محمد اركون، 1993، ص:21).

- تمسك الطبقة الحاكمة بمكانتها وسلطانها المطلقة وذلك بتسخيرها المقدس وكل الرموز الدينية وتحويلها مجرد شعارات إيديولوجية ورفضها كل محاولات التغيير الجادة والجدرية لأن في هذه خلخلة وخلع لمشروعيتها.

خاتمة:

إن مشروع نقد العقل الإسلامي أصيل لا ينحاز لمذهب ضد آخر ولا يقف مع عقيدة ضد أخرى كونه مشروع تاريخي وأثنوبولوجي، يثير أسئلة أنثروبولوجية في كل مرحلة من مراحل التاريخ، ولا يكتفي بمعلومات يسردها التاريخ الراوي، الذي يشير إلى أسماء وحوادث وأفكار دون التساؤل عن تاريخ المفاهيم الأساسية المؤسسة كالدين والدولة والمجتمع والحلال والحرام والمقدس والطبيعة والمخيال.... والمعرفة القصصية أي الأسطورية والمعرفة التاريخية والمعرفة العلمية والفلسفية وهذا بغية إعادة قراءة للنصوص المؤسسة للفكر الإسلامي وتحرير التراث من كل القراءات التبجيلية، وهذا لن يتحقق حسب أركون إلا من خلال كتابة التاريخ من وجهة نظر نقدية لا إيديولوجية، وهنا تتجسد عملية تحرير الأجيال من كل الصور التقليدية عن التراث، فهذه المهمة لن تتحقق إلا وفق البديل الأركوني المتمثل في الإسلاميات التطبيقية التي تقوم بعملية غربة التراث وإدخال الحداثة العقلية بمفهومها الواسع والشامل إلى المجتمعات العربية الإسلامية، ولكن رغم أن مشروع أركون يتطلب تضافر كل الجهود والعقول عبر فتح ورشات متخصصة تتكامل فيما بينها لإنجاز مهمة القراءة والنقد إلا أنه يبدو مشروع **يوتوبي** مبشرا أكبر منه ممارسا للمناهج فهو لا يقدم حلولاً ولا إجابيات بقدر ما يطرح إشكالات ويدعوا كل الدارسين إلى الإنخراط في إنجاز هذا المشروع ومن ثم إنجاز مهمة الإسلاميات التطبيقية باعتبارها ممارسة علمية متعددة الاختصاصات.

قائمة المصادر المراجع

(I) قائمة المصادر

- (1) محمد أركون: الإسلام الأخلاق السياسية، ترهاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط1، 1990.
- (2) محمد أركون: الإسلام اوربا الغرب، رهانات المعنى وايرادات الهيمنة، ترهاشم صالح، دار الساقى بيروت، ط2، 2001.
- (3) محمد أركون: الفكر الإسلامي قراءة علمية، مركز الانماء القومي بيروت، ط2، 1996.
- (4) محمد أركون: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ترهاشم صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب لافوميك، دار الساقى بيروت، ط2، 1993.
- (5) محمد أركون: الفكر الأصولي واستحالة التأصيل (نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي)، دار الساقى، بيروت، ط1، 1999.
- (6) محمد أركون: تاريخية الفكر العربي الإسلامي، منشورات مركز الاتحاد القومي، بيروت، ط1، 1988م.
- (7) محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني كيف نفهم الإسلام اليوم، ترهاشم صالح، دار الطليعة، بيروت لبنان، ط3، 2004.

(II) قائمة المراجع :

- (1) عبد اللاله بلقزيز: العرب والحداثة (3) نقد التراث، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 2016.
- (2) محمد الشبه: مفهوم المخيال عند محمد أركون، منشورات الإختلاف، دار الأمان، الرباط، ط1، 2014.
- (3) محمد مستقيم: مفاهيم أركونية، المشروع النقدي للعقل الإسلامي، دار الناية للنشر والتوزيع، سوريا دمشق، دط، دس.
- (4) مختار الفجاري: نقد العقل الإسلامي عند محمد أركون، دار الطليعة، بيروت، د ط، 2005.

(III) المجالات

- (1) مصطفى كيحل: الألسنة والتأويل في فكر محمد أركون، من منشورات الاختلاف، دار الامان الجزائر، المغرب، 2011. بيروت، العدد 20-21-22، 1982.